التوبة تمحو الذنوب

قال في ما كان يجري بينهما من معاتبة مستعتباً من القصيدة الميمية :

[الطويل]

أَلَا مَـا لِـسَـيْـفِ الـدَّوْلَـةِ الْـيَـوْمَ عَـاتِـبَـا
فَـدَاهُ الْـوَرَى أَمْـضَـى الـسُّـيـوفِ مَـضَـارِبَـا(١)
وَمَـا لِـي إِذَا مَـا اشْـتَـقْـتُ أَبْـصَـرْتُ دُونَـهُ
تَـنَـائِـفَ لَا أَشْـتَـاقُـهَـا وَسَـبَـاسِـبَـا(٢)
وَقَـدْ كَـانَ يُـدْنِـي مَـجْـلِـسِـي مِـنْ سَـمَـائِـهِ
أُحَـادِثُ فِـيـهَـا بَـدْرَهَـا وَالْـكَـوَاكِـبَـا(٣)
حَـنَـانَـيْـكَ مَـسْـؤُولاً وَلَـبَّـيْـكَ دَاعِـيـاً
وَحَـسْـبِـيَ مَـوْهُـوبـاً وَحَـسْـبُـكَ وَاهِـبَـا(٤)

---

(١) الورى: الناس. يستغرب الشاعر أن سيف الدولة عاتب عليه، وهو لم يرتكب ما يوجب عتباً وملامة، لذا يدعو له بالسلامة والمعافاة من كلّ بلاء فالبشر فداه جميعاً لأنه أمضى السيوف وأشدّها مضاءً.

(٢) التنائف، الواحدة تنوفة: المفازات. السباسب، الواحدة سبسب: الفلوات القفراء الموحشة. الجفاء حالة نفسية موحشة، فالشاعر يأسف ويُحسّ بوحشة لتجافي سيف الدولة عنه، وفي حال شوقه يرى أن هوّة شاسعة تفصله عنه دونهما فلوات قفراء موحشة شاسعة.

(٣) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ٢: ٣٢٣. يصف الشاعر علو مكانته في مجلس سيف الدولة، فالمجلس كالسماء حيث تحيط بممدوحه نجوم ذلك العصر من علماء وشعراء ومغنين وفلاسفة، وهو في وسطهم كالقلادة يتبادل معهم حلو الحديث حيث يسود الودّ والاحترام والحبّ.

(٤) يتودّد الشاعر لسيف الدولة طالباً منه أن يُسبغ عليه حناناً من لدنه وهو على استعداد ليبادله المسارعة إلى الإجابة لما يُحب ويرضى، فثمّة رابط يربطهما الودّ والمصلحة؛ فسيف الدولة يَفيض عطاؤه على الشاعر وهذا ما يجعله يختص بممدوحه، والشاعر بدوره يُشيد بإنجازات ممدوحه العظيمة.

أَهٰذَا جَزَاءُ الصِّدْقِ إِنْ كُنْتُ صَادِقاً
أَهٰذَا جَزَاءُ الْكِذْبِ إِنْ كُنْتُ كَاذِبَا(١)
وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلَّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ
مَحَا الذَّنْبَ كُلَّ الْمَحْوِ مَنْ جَاءَ تَائِبا(٢)

لا تَشِنه بالنضار

وقال وقد عرض على الأمير سيوف فيه واحد غير مذهب فأمر بإذهابه: [المنسرح]

أَحْسَنُ مَا يُخْضَبُ الْحَدِيدُ بِهِ
وَخَاضِبَيْهِ النَّجِيعُ وَالْغَضَبُ(٣)
فَلَا تَشِينَنْهُ بِالنُّضَارِ فَمَا
يَجْتَمِعُ الْمَاءُ فِيهِ وَالذَّهَبُ(٤)

أنت لعلة الدنيا طبيب

قال فيه يعوده من دمل كان به: [الوافر]

أَيَدْرِي مَا أَرَابَكَ مَنْ يُرِيبُ
وَهَلْ تَرْقَى إِلَى الْفَلَكِ الْخُطُوبُ(٥)

---

(١) و (٢) عتاب الأصدقاء والأحباب يمحو الجفوة بينهم ويعيدهم إلى صافي الودّ والعهد. يسأل الشاعر عن الجزاء الحسن؛ فالصدق جزاؤه نعم الجزاء، عطاءً وتكرمة. وفي حال كذبه فليس هذا الموقف جزاء الكاذبين، والعفو من شيم الكرام وجميل عفو سيف الدولة يعني تقرّباً ومغفرة. ويكفي المرء التوبة والاعتذار عمّا يمكن أن يكون بدر من الشاعر عن غير قصد.

(٣) يخضب: يصبغ بالحنّاء. النجيع: الدم. يرى الشاعر أن السيف أجمل ما فيه أن يصبغ بدماء الأعداء القانية التي يفجّرها الغضب لكرامة صاحبه وشفاءً لغضبه.

(٤) شان: عاب. النضار: الذهب. يطلب الشاعر من سيف الدولة أن يبقي السيف على حاله فالذهب يُفقده حاسّة القتل ويجعله للزينة، وهنا لا قيمة له، لأنه فقد أسباب وجوده، لذلك فمن غير الممكن أن يجتمع الماء سرّ الحياة والذهب لدى من كان يقتله العطش.

(٥) ورد البيت في: أسرار البلاغة، للجرجاني: ٣٢١، الوساطة بين المتنبي وخصومه: =